

المصري اليوم

٢٠٠٩/١/١٢

صفحة ١٢

كفى ضجيجاً أيها العاجزون.. واحترموا بسالة الرجال

د. إبراهيم البحراوى بقلم

الآن، وبعد أن أخرج النظام العربى الرسمى مجتمعاً أعظم طاقاته بإصدار قرار مجلس الأمن فى نيويورك يوم الجمعة الماضى، وبعد أن أعلنت إسرائيل أنها تعتبر هذا القرار حبراً على ورق، وأنها ماضية فى عملياتها طبقاً لاعتباراتها الخاصة..

الآن، وبعد أن عبر المجلس الأمنى الإسرائيلى الوزارى عن تحفظه تجاه المبادرة المصرية بعد عودة الجنرال عاموس جلعاد من القاهرة ليبلغ رؤساءه أن مصر مصممة على رفض نشر قوات دولية على حدودها، كما تطالب إسرائيل لمنع.. تهريب الأسلحة تحت الأرض من رفح المصرية إلى رفح الفلسطينية

الآن، وبعد أن تأكد أن الجبهة اللبنانية ستبقى صامته بعد الإجماع فى مجلس الوزراء اللبنانى على رفض استخدام الجنوب كمنصة لإطلاق الصواريخ وتكليف الجيش اللبنانى بتدمير أى صواريخ مخزنة فى الجنوب بعد حادث إطلاق ثلاثة.. صواريخ على إسرائيل

الآن، وبعد أن مر أكثر من أسبوعين على بدء العدوان الهمجى والوحشى ولم تفتح الحمم على إسرائيل من الأرض السورية غير المكبلة بمعاودة سلام مثل مصر.. الآن، وبعد كل هذا الوقت ومازالت صواريخ شهاب الإيرانية بعيدة المدى.. والقادرة على الوصول إلى تل أبيب نائمة فى مخازنها فى سلام

الآن، يجب أن تنفث جميع سحب الدخان التى أطلقتها الخطب الحماسية النارية وتراشق العرب والمسلمين بالتهمة الآن، يجب أن يصمت الجميع عن ادعاء الأدوار وانتحال البطولات

الآن، يجب أن تكفوا جميعاً عن النباح عبر الفضائيات لتتركوا الفضاء كله صامتاً حتى لا يسمع فيه سوى صوت واحد، وهو صوت بواسل الرجال وهم يقاتلون وحدهم بما تيسر لهم من سلاح وبما يختزنون من قوة الإيمان

الآن أيها السادة عليكم أن تمارسوا أضعف الإيمان، وأن تكفوا عن النباح المزعج للأذان، وأن تتركوا الشعوب العربية والإسلامية تستمع إلى وقع أقدام الرجال البواسل وهم يتحركون كالأسود يكمنون لدايات همكافاه ويتربصون بكتائب العدو ويطلقون نيرانهم، الآن لم يعد الشعب الفلسطينى فى غزة يريد عويلكم ومناحاتكم ويكاثباتكم على أطفاله الذين يتساقطون تحت حمم العدوان.. فأنتم جميعاً لم تفعلوا لهم شيئاً، وعلى الأغلب لن تفعلوا مهما تزايدت أعداد الشهداء منهم.

كل ما هو مطلوب منكم، إن كان بداخلكم حقاً ضمير، هو أن تلتزموا الصمت حتى لا تزعجوا المقاتلين وتصرفوا أسماعهم عن التنصت على تحركات طوابير العدو وأن تلتزموا السكون التام فلا تتحركوا حركة تشغل عيون البواسل عن رصد تحركات هذا العدو.

ولا تشغلوا الأجيال الجديدة عن متابعة الملحمة البطولية فهى نموذج المستقبل، الآن هو أوان الرجال البواسل، فقط فى الميدان بعنادهم القليل وإيمانهم الكثير فلم تعد للكلمات الصارخة بالألم معنى ولم يعد للتراشق بالاتهامات دلالة، فالكل عاجز والكل خائف على ما يملك ضنين به على شعب مازال صامداً على أرضه منذ أكثر من قرن، رغم تدفق المهاجرين اليهود المدججين بسلاح الاستعمار الغربى على أرضه بعد مؤتمر بازل عام ١٨٩٧

أعظم ما نفعله نحن العاجزين الآن هو أن نهتف لصمود هذا الشعب الأعزل الذى مازال يقاتل لأكثر من مائة عام رغم كل حبروت الصهيونية العالمية ورغم كل مؤامرات بريطانيا الاستعمارية صاحبة حق الانتداب على فلسطين ورغم وعد بلفور عام ١٩١٧ بإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين،

ورغم الدعم الدولى واسع النطاق بالمال والسلاح للصهاينة عام ١٩٤٨، ورغم المذابح التى بدأتها العصابات الصهيونية عام ١٩٢٠ بفتح النيران على المصلين المسلمين فى يوم مولد النبى موسى، ورغم سلسلة هذه المذابح التى توالى منذ دير ياسين عام ١٩٤٨ والتى اعترف الكولونيل أنكور الصهيونى بما جرى فيها من فظائع ذبح الأطفال ويقر بطون النساء الحوامل والتسلى بإطلاق النيران الصهيونية على كل إنسان يتحرك فى القرية

اهتفوا لسمود هذا الشعب، فلعل هذا الهتاف وحده يعوض عن عجزكم وتأملوا كيف تدرج الصهاينة على الأرض من حفنة قليلة من المهاجرين ورسوموا لأنفسهم الخطط ليتحولوا إلى سادة يحكمون الأغلبية العربية ويتحكمون فيها ويفرغون الأرض منها على مراحل كلما تيسر لهم ذلك

تأملوا وأنتم تهتفون للسمود، فلعلكم تتعلمون من أعدائكم فن التخطيط بعيد المدى وفن التوافق الداخلى على برنامج التى اخترعها الصهاينة ليقتنعوا شبابهم بأن مشروعهم للهجرة إلى «الحد الأدنى القومى. تأملوا مقولة «الأرض الفراع فلسطين من أوروبا سهل لا تعترضه عقبات «شعب بلا أرض لأرض بلا شعب» كما صاغها زنجويل

ثم تأملوا ماذا فعل اليهود عندما اكتشفوا زيف المقولة وأن الأرض مسكونة بشعب عريق، لقد تحولوا إلى أسلوب تحقير هذا الشعب والحط من شأنه وشأن حضارته، ليس من باب السباب والشتيمة ولكن كأساس نظرى لممارسات أهم

لقد اعتبروا أنفسهم أصحاب الأرض الذين غابوا عنها ألفى سنة ثم عادوا إليها تمامًا كما يغيب صاحب الحقل عن أرضه ويهملها وعندما يعود إليها يجدها مليئة بالنباتات الشوكية والطفيليات والحشرات السامة والأفاعى. لقد طوروا الأساس الفكرى لعمليات الإبادة التى نراها اليوم ورأيانها على مدى يزيد على القرن

لقد سلبوا الإنسان الفلسطينى صفاته الإنسانية وجردوه منها واعتبروه حشرة سامة يجب عليهم إبادتها لتطهير الحقل المهجور ليليق بأصحابه العائدين إليه

اهتفوا لسمود هذا الشعب فى مواجهة نظرية التطهير العرقى الصهيونية ونظرية الإبادة، اهتفوا لبسالته فى مواجهة قوى دولية تحمى إسرائيل وتصد عنها جيوش العرب وتوفر لها الدعم المالى والسياسى

اهتفوا لبسالته شعب كتب عليه أن يقاتل معركته وحيداً ويستحق ألا نشوش على بسالته وأن نكف عن النواح والنباح احتراماً لبسالته رجاله